دور التعليم الجيد في تحقيق التنمية المستدامة: دراسة تحليلية من خلال السيرة النبوية القرآنية

The Role of Quality Education in Achieving Sustainable Development: An Analytical Study Through the Qur'anic Prophetic Biography

Hafiz Aizaz Ul Haq Naeem
Researcher at the Embassy of the Kingdom of Saudi Arabia, Islamabad

Abstract

This study explores "The Role of Quality Education in Achieving Sustainable Development from the Perspective of the Qur'anic Prophetic Biography (al-Sīrah al-Nabawiyyah al-Qur'āniyyah)" by drawing upon the contexts of the Prophet's ﷺ life as reflected in the Qur'an to gain a deeper understanding of the concept. The methodology adopted is analytical, deriving insights from authentic sources and employing reflection and interpretation to uncover underlying truths. In addition, a comparative approach is used to examine the areas of convergence and divergence between the Qur'anic vision and that of the United Nations. The study is structured into four sections, preceded by an introduction highlighting the significance of the topic. The first section discusses the concept of sustainable development, its goals, and its dimensions. The second explores the Qur'anic perspective on sustainable development through the themes of succession (istikhlāf), development (i'mār), and the prohibition of corruption and extravagance, while underscoring the essential differences from the UN vision. The third section analyzes the United Nations' conception of quality education, exposing its Western secular orientation, its link to human rights discourse, and its role in fostering a secular culture aimed at reshaping a "global citizen." The fourth section presents the Qur'anic Prophetic vision of quality education, affirming that knowledge is the pathway to progress and development, that the first teacher of humanity is Allah Himself, that its message is timeless, guided by revelation, and that encompasses the entire universe as its field of exploration. The study concludes with a synthesis of findings, alongside recommendations and suggestions for further research.The study found that the UN vision of sustainable development is driven by material concerns, particularly the fear of resource depletion. By contrast, the Qur'anic perspective transcends such anxieties, affirming that sustenance is guaranteed by divine promise— a fact that is also scientifically

proven. Scarcity, it argues, is not caused by population growth but by extravagance, mismanagement, and unjust distribution. Resources are understood not as absolute possessions but as a trust, with humanity serving as God's vicegerent (istikhlāf), responsible for their just and wise administration. The research further concludes that the UN employs "quality education" as a tool to promote a secular identity that erodes religious and cultural particularities. Conversely, the Qur'an outlines a divinely inspired model of education inseparable from revelation, whose ultimate goal is servitude to God and the just cultivation of the earth. Qur'anic education extends across the entire span of human existence, from cradle to resurrection, addressing fundamental existential questions and encompassing all beneficial knowledge that does not contradict revelation. In this way, it integrates material progress with moral and spiritual values.

Keywords: *Quality Education –Qur'anic Prophetic Biography – Revelation – United Nations – Sustainable Development – Succession (Istikhlāf) – Development (i'mār) – Secular Culture – Western Hegemony.*

المقدمة

الحمد لله العليم الحكيم، الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وجعل التعليم طريقًا للتقدم ونهضة الأمم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، بعثه ليزكي النفوس ويعلّم الكتاب والحكمة. فاللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربهم بإحسان إلى يوم الدين. **أما بعد:**

أ- **التعريف بالموضوع:** لقد أولى المجتمع الدولي اهتماما كبيرا بالتنمية المستدامة منذ بداية القرن العشرين، معتبرا إياها مسارا للتوازن بين حاجات الحاضر ومقدرات المستقبل. فنتج هذا الاهتمام بإطلاق الأمم المتحدة خطة التنمية المستدامة 2030، التي تضمنت سبعة عشر هدفا، وجعلت "التعليم الجيد" هدفها الرابع الذي يحمل رؤية إنسانية يظهر في شعاره: "ضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع، وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع"، مؤكدا قناعة واضعيه بأهمية الالتزام بتوجيهات الأمم المتحدة.

وفي المقابل يقدّم القرآن الكريم تصورا متكاملا للتنمية المستدامة، ينطلق من الاستخلاف وعمارة الأرض، ويجعل العلم والتعليم ركيزة لنهوض الأمم والحضارات. وإن المتأمل في السيرة النبوية القرآنية يجد أنها سبقت في الإشارة إلى مضامين الهدف الرابع، مقدمة تصورا يتجاوز المنظور المادي؛ لذلك دراسة خطة التنمية المستدامة، خاصة هدفها الرابع، ومقارنتها بالتوجيهات القرآنية، تفتح لنا آفاقا جديدة لفهم التنمية المستدامة والتعليم الجيد، وتكشف لنا أوجه التلاقي والاختلاف بين الرؤية القرآنية والأممية.

ب- **مشكلة البحث:** تتمثل مشكلة البحث في سؤال: **ما دور التعليم الجيد في تحقيق التنمية المستدامة من خلال السيرة النبوية القرآنية؟** وتتطلب الإجابة معالجة الأسئلة التالية:

1. ما مفهوم التنمية المستدامة عند الأمم المتحدة، وفي القرآن الكريم؟
2. ما الفرق بين الرؤية القرآنية والأممية حول التنمية المستدامة؟

3. ما مفهوم التعليم الجيد عند الأمم المتحدة، وفي القرآن الكريم؟
4. ما الفرق بين الرؤية القرآنية والأممية حول التعليم الجيد؟

ت- **الدراسات السابقة:** بعد بحث دقيق في قواعد البيانات والمكتبات الرقمية عبر الإنترنت، والوسائل التقليدية، مع الاستفادة من مشورة المتخصصين، لم يعثر الباحث على دراسة تناولت هذا الموضوع "دور التعليم الجيد في تحقيق التنمية المستدامة من خلال السيرة النبوية القرآنية". لكن عثر الباحث على دراسات مرتبطة جزئيا بالموضوع، وهي:

1. م.د إسراء ديوان قاسم، التعليم الجيد في المنظور القرآني وأهداف التنمية المستدامة، الهدف الرابع أنموذجا: دراسة تحليلية، **مجلة كلية التربية الاساسية بالجامعة المستنصرية**، العراق، العدد: 131، 2025: تناولت هذه الدراسة أثر التعليم الجيد في بناء المعرفة والمهارات وخدمة المجتمع، مع مقارنة بين التعليم القرآني والهدف الرابع، مركزة على جودة التعليم وتحقيق الأهداف.
2. منى منصوري، التعليم ودوره في تحقيق التنمية المستدامة في الجزائر، **مجلة أرصاد للدراسات الاقتصادية والإدارية بجامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة**، الجزائر، العدد: 3، 2020: ركزت هذه الدراسة على الواقع التعليمي في الجزائر ودوره في التنمية المستدامة، مشيرة إلى جهود الدولة لتعليم شامل، مع وجود فجوة في جودة التعليم ودوره في التنمية.
3. محمود عبد الكريم، التعلم والتعليم في القرآن الكريم، **مجلة كلية الإلهيات بجامعة سليمان ديميريل**، تركيا، العدد: 43، 2019: استعرضت هذه الدراسة مكانة العلم والتعليم في القرآن، مؤكدة مركزية العلم ومكانة العلماء، وأوضحت كيف يؤسس القرآن الكريم لمجتمع معرفي أخلاقي.
4. بكر عبد الله خرمان، **التنمية المستدامة في السنة النبوية: دراسة تأصيلية**، رسالة الماجستير، الأردن: جامعة آل البيت، 2017-2018: تناولت الدراسة أصول التنمية المستدامة في السنة النبوية، مركزة على الجوانب التعبدية، مع التركيز على الأخلاق والتكافل.
5. رحاب مصطفى كامل، التنمية المستدامة في القرآن الكريم، **مجلة البحوث والدراسات القرآنية**، المدينة المنورة، العدد: 16: ركز البحث على مفهوم التنمية المستدامة من خلال القرآن الكريم، خاصة في إطار إعمار الأرض، واستخلاف الإنسان، والعناية بالبيئة.

يظهر من استعراض هذه الدراسات اهتمام الباحثين بالتنمية المستدامة من منظور إسلامي خلال نصوص القرآن والسنة، لكن غالبا من زوايا بيئية واقتصادية، دون مقارنة الرؤية القرآنية بالأممية. ورغم إشارة بعض الدراسات إلى مفاهيم قرآنية حول التعليم الجيد، لكنها لم تركز على مقارنة رؤية القرآن بالأممية، ولم تعالج التعليم الجيد المستند إلى الوحي. **فظهر وجود فجوة علمية** في غياب مقارنة منهجية بين الرؤية الأممية والقرآنية حول التنمية المستدامة والتعليم الجيد.

ث- **أهمية الدراسة الحالية:** تسعى هذه الدراسة إلى المساهمة في سدّ هذه الفجوة من خلال:

1. تبيين مفهوم التنمية المستدامة عند الأمم المتحدة وفي القرآن الكريم.
2. توضيح مفهوم التعليم الجيد عند الأمم المتحدة وفي القرآن الكريم.
3. الكشف عن أوجه التوافق والاختلاف بين الرؤيتين حول التنمية المستدامة والتعليم الجيد.

ج- **منهج البحث:** اعتمد البحث المنهج التحليلي، بجمع البيانات من القرآن الكريم، وأقوال المفسرين والمفكرين، وأدبيات الأمم المتحدة، ثم تحليلها تحليلا تفسيريا. كما استخدم المنهج المقارن لدراسة الرؤية القرآنية والمواثيق الأممية؛ للكشف عن أوجه الالتقاء والتباين، وبيان خصوصية كل رؤية في تناول التعليم والتنمية المستدامة.

ح- **حدود البحث:** تقتصر الدراسة على تحليل التعليم الجيد والتنمية المستدامة وفق رؤية الأمم المتحدة والنصوص القرآنية، والكشف عن أوجه التوافق والاختلاف بين الرؤيتين: الأممية والقرآنية.

خ- **أهداف البحث:** تهدف هذه الدراسة إلى:

1. بيان مفهوم التنمية المستدامة عند الأمم المتحدة وفي القرآن الكريم.
2. توضيح مفهوم التعليم الجيد عند الأمم المتحدة وفي القرآن الكريم.
3. الكشف عن أوجه التوافق والاختلاف بين الرؤيتين حول التنمية المستدامة والتعليم الجيد.
4. تقديم توصيات ومقترحات.

د- **خطوات البحث:** اتخذت في كتابة البحث الخطوات التالية:

1. وضع الآيات القرآنية بين القوسين هكذا ﴿ ﴾، مع عزوها إلى سورها ورقم الآية في الحاشية.
2. تخريج الأحاديث والآثار، فإن كان الحديث مخرجا في الصحيحين اكتفي به، وإلا خرج من مصادر أخرى مع ذكر حكم أهل الحديث عليه باختصار.
3. الاعتماد على المصادر الأصلية أولا، ثم المصادر المتأخرة عند الحاجة.
4. لم ألتزم بإيراد ألقاب العلماء وأصحاب الفكر أو الترحم عليهم في الغالب، وليس ذلك من تنقص، بل الالتزام بذلك يصعب عليّ. **أسأل الله لهم المغفرة والرحمة!**

ذ- **خطة البحث:** لقد اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي: تتضمن **المقدمة** التعريف بالموضوع، وبيان أهميته في السياق المعاصر، وعرض مشكلة البحث، وأبرز الدراسات السابقة ذات الصلة، والمنهج المتبع في الدراسة، وأهداف البحث، وخطواته، وخطته. وتشمل **الخاتمة** أبرز نتائج البحث، والتوصيات والمقترحات، وقائمة المصادر والمراجع.

يتضمن **المبحث الأول** مطلبين: الأول يتناول "التنمية المستدامة لغة واصطلاحا وعند الأمم المتحدة"، ويؤصل المفهوم في السياق الأممي. والثاني يعرض "أهداف التنمية المستدامة وأبعادها"، مع تحليل خصائصها وتكاملها. ويتناول **المبحث الثاني** "التنمية المستدامة في القرآن الكريم" في ثلاثة مطالب: الأول يبين "الاستخلاف وأقسامه" وعلاقته بالإعمار. والثاني يعالج "الإعمار والفساد والادخار" في سياق التنمية المستدامة. والثالث يقارن بين الرؤية القرآنية والأممية. ويتناول **المبحث الثالث** "مفهوم التعليم الجيد عند الأمم المتحدة" في مطلبين: الأول يؤصل المفهوم لغويا واصطلاحا وفي السياق الأممي. والثاني يحلل "الطابع العلماني والغربي للتعليم الجيد"، ويكشف ارتباطه بالمنظومة الحقوقية الحديثة، ويعرض أهدافه ومؤشراته. ويتناول **المبحث الرابع** " مفهوم التعليم الجيد من خلال السيرة النبوية القرآنية" في مطلبين: الأول يوضح أن "التعليم الجيد سبيل التقدم"، مع نماذج قرآنية. والثاني يعرض رؤية تأصيلية للتعليم الجيد، مؤكدا ارتباطه

بالوحي وشموليته التربوية والأخلاقية.

وإني لأُقِرُّ وأعترف أنّ في هذا البحث ما كان من حقّ وصواب، فهو بتوفيق من الله وفضله، وما كان فيه من نقص أو خطإ، فهو مني ومن تقصيري، **وأستغفر الله منه وأرجو عفوه ورحمته**.

المبحث الأول: مفهوم التنمية المستدامة عند الأمم المتحدة

يعدُّ مصطلح "التنمية المستدامة" ركيزة أساسية لهندسة السياسات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وأصبح تحقيقها ضرورة استراتيجية تسعى إليها الحكومات والمؤسسات العالمية لتلبية احتياجات الحاضر دون المساس بحقوق الأجيال القادمة في الموارد.

المطلب الأول: التنمية والمستدامة لغة واصطلاحا وعند الأمم المتحدة

أولا: التنمية لغة واصطلاحا

التنمية مشتقة من الجذر (ن م و)، وتعني الزيادة والنماء والتكاثر. يقال: "نمّيت الشيء وأنميته"، أي: زدته وطورته. فالتنمية ثمرة جهد بشري مقصود للتحسين والتطوير[1]. لقد عرف معجم اللغة العربية المعاصرة التنمية بأنها "تحويل الموارد الطبيعية غير المستثمرة إلى موارد منتجة، كاستصلاح الأراضي أو إنشاء صناعات جديدة"[2]. بناء على ذلك، نعرف التنمية بأنها: "تحويل الموارد الطبيعية غير المستثمرة إلى موارد منتجة".

ثانيا: المستدامة لغة واصطلاحا

لفظ "المستدامة" مشتق من الجذر (د و م)، ويعني الاستمرار والدوام والثبات. فاستدامة الشيء تعني: طلب دوامه دون انقطاع[3]، واسم المفعول "المستدامة" يدل على استمرارية الفعل التنموي، وقابليته للبقاء عبر الزمن. وتطور مفهوم الاستدامة **اصطلاحا**؛ ليشمل الاقتصاد والإدارة والبيئة والمجتمع، وتعرّف بأنها: "شمول جميع جوانب الحياة التي يرجى دوامها، والحيلولة دون نضوبها أو فنائها، كالموارد الطبيعية"[4].

ثالثا: التنمية المستدامة كمصطلح مركب عند الأمم المتحدة

بلغت تعاريف التنمية المستدامة أكثر من ستين تعريفا[5]، وأشهرها تعريف الأمم المتحدة الوارد في تقرير "برونتلاند" (1987) بأنها: "التنمية التي تفي باحتياجات الحاضر دون المساس بحقوق الأجيال القادمة بما يؤثر في قدراتها على الوفاء باحتياجاتها"[6]. يبرز هذا التعريف التوازن بين الحاضر والمستقبل، الذي يتحقق عبر إدارة حكيمة للموارد، وتخطيط بعيد المدى يراعي الأثر البيئي والاقتصادي والاجتماعي.

المطلب الثاني: أهداف التنمية المستدامة وأبعادها

أولا: أهداف التنمية المستدامة

أُطلقت خطة التنمية المستدامة لعام 2030 لمواجهة التحديات العالمية بعد النجاح النسبي لأهداف الألفية الإنمائية، فصادقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر 2015 على هذه الخطة، التي تضم 17 هدفا تشكل إطارا لتحقيق تنمية شاملة ومستدامة لجميع الشعوب[7].

الأهداف السبعة عشر للتنمية المستدامة:

أ- القضاء على الفقر بجميع أشكاله وفي كل مكان.

ب- القضاء على الجوع، وتحقيق الأمن الغذائي، وتحسين التغذية، وتعزيز الزراعة المستدامة.

ت- ضمان حياة صحية وتعزيز الرفاه للجميع في جميع الأعمار.

ث- ضمان تعليم جيد منصف وشامل وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة.

ج- تحقيق المساواة بين الجنسين وتمكين النساء والفتيات.

ح- ضمان المياه النظيفة والصرف الصحي للجميع، وإدارتها إدارة مستدامة.

خ- ضمان طاقة حديثة مستدامة وموثوقة وميسورة التكلفة.

د- تعزيز النمو الاقتصادي المستدام، والتوظيف الكامل، والعمل اللائق للجميع.

ذ- تطوير بنى تحتية، وتشجيع التصنيع المستدام، وتعزيز الابتكار.

ر- الحدُّ من أوجه عدم المساواة داخل الدول وفيما بينها.

ز- جعل المدن والمستوطنات البشرية مستدامة وآمنة وشاملة للجميع.

س- ضمان أنماط استهلاك وإنتاج مستدامة.

ش- مكافحة تغير المناخ وآثاره عبر سياسات استباقية وتحول طاقي.

ص- حفظ المحيطات والموارد البحرية، واستخدامها بشكل مستدام.

ض- حماية النظم البيئية البرية، ومكافحة التصحر وفقدان التنوع البيولوجي.

ط- تعزيز المجتمعات السلمية والعادلة، وضمان الوصول إلى العدالة، وبناء مؤسسات فعالة وخاضعة للمساءلة.

ظ- تعزيز وسائل التنفيذ وتنشيط الشراكة العالمية للتنمية المستدامة[8].

الخصائص المتميزة لأهداف التنمية المستدامة:

تتسم أهداف التنمية المستدامة بعدد من الخصائص، من أبرزها: **الطابع العالمي**: بخلاف أهداف الألفية التي ركزت على الدول النامية، فإن أهداف التنمية المستدامة تطبَّق على جميع الدول، مع التزام مشترك بمواجهة التحديات التنموية وفقا لقدرات كل دولة وسياقاتها المحلية. **والطابع التحويلي**: تمثل خطة 2030 تحولا جوهريا في النهج التنموي، حيث تركز على الإنسان والبيئة والازدهار بشكل متكامل، وتستند إلى منظومة حقوق الإنسان، مع مراعاة المساواة والتنوع، متجاوزة بذلك النظرة المادية المحضة. **والشمول والتكامل**: تغطي الأهداف الأبعاد الثلاثة للتنمية: الاقتصادي، والاجتماعي، والبيئي. كما تهتم ببناء مجتمعات عادلة وآمنة، وتعزز الحوكمة الرشيدة، وسيادة القانون، وتحقيق الأمن الإنساني. **وعدم الإقصاء**: تتبنى الخطة مبدأ "**عدم ترك أحد خلف الركب**"، وتؤكد ضمان استفادة الجميع من ثمار التنمية بغض النظر عن الجنس، أو العرق، أو الدين، أو غيرها من الخصائص الشخصية، مع التشديد على مسؤولية الدول في حماية حقوق الإنسان[9].

ثانيا: أبعاد التنمية المستدامة

تقوم التنمية المستدامة على ثلاثة أبعاد مترابطة ومتكاملة: **الاقتصادي، والبيئي، والاجتماعي**[10].

ويعدّ تحقيق التوازن بين هذه الأبعاد أساسا للتنمية المستدامة. يرتكز **البعد الاقتصادي** على تحقيق نمو اقتصادي مستدام، وتنويع مصادر الدخل، وتحفيز الاستثمار في القطاعات الإنتاجية الخضراء، وتوفير فرص العمل الكريمة، وتقليص الفجوات الاقتصادية؛ لتعزيز الاستقرار القصير والطويل. **والبعد البيئي** يركّز على حماية الموارد الطبيعية، والحدّ من التلوث والانبعاثات الضارة، والتصدي لتغير المناخ. **والبعد الاجتماعي** يهتم بالعدالة الاجتماعية، وضمان الحقوق الأساسية للإنسان مثل: التعليم الجيد، والرعاية الصحية، والسكن، والحماية الاجتماعية، مع

تعزيز المشاركة المجتمعية، واحترام التنوع الثقافي، والحفاظ على الهوية الوطنية[11].

تكامل أبعاد التنمية المستدامة ومتطلباته:

أبعاد التنمية المستدامة الثلاثة مترابطة ومتكاملة، ويتطلب هذا التكامل تنسيقا فعالا للجهود على المستويات الوطنية والدولية؛ لتعزيز التوافق بين المصالح الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. ولتحقيق هذا التكامل، يجب **اتباع نهج النظُم** في التخطيط والسياسات العامة، بحيث تؤخذ العوامل البيئية والاقتصادية والاجتماعية في الاعتبار بصورة مترابطة ومتزامنة، مع مراعاة الأبعاد الزمنية القصيرة والطويلة. كما يجب **تعزيز التمويل المستدام**، وتفعيل الشراكات بين القطاعين العام والخاص، والمجتمع المدني، خاصة في ظل التحديات العالمية مثل تغير المناخ، والتدهور البيئي، واتساع الفجوات الاجتماعية.ويجب أيضا **تحديث آليات جمع البيانات**، لضمان وصول الخدمات والمشروعات التنموية إلى الفئات الأكثر تهميشا، مع تمكين المجتمع المدني من لعب دور فاعل في نشر الوعي، وتعزيز الشفافية، وحماية الفئات الهشة.

إنّ تحقيق أهداف خطة 2030 مرهونٌ بفعالية التكامل بين الأبعاد الاقتصادية والبيئية والاجتماعية، ولا يمكن بلوغ تلك الأهداف دون تعاون دولي، واستثمار طويل الأمد في الإنسان والموارد والحوكمة. فبناء مستقبل مزدهر وشامل يتوقف على مدى قدرتنا الجماعية على إدارة هذا التوازن الحيوي بكفاءة ومسؤولية[12].

المبحث الثاني: التنمية المستدامة في القرآن الكريم

على الرغم من أن مصطلح "التنمية المستدامة" لم يرد نصا في القرآن الكريم بصيغته المعاصرة، لكن روح هذا المفهوم ومقاصده حاضرةٌ في آياته؛ في استخلاف الإنسان لإعمار الأرض وصون مواردها. ونستعرض المفهوم القرآني لـ "التنمية" من خلال مبدأ استخلاف الإنسان في الأرض وإعمارها، ثم المفهوم القرآني لـ "المستدامة" من خلال تحذيره من الإسراف والفساد، وتشجيعه على الادخار والتوازن.

المطلب الأول: الاستخلاف وأقسامه

أولا: الاستخلاف لغة واصطلاحا

"الاستخلاف" مصدر من "استخلف"، ويعني: جعله خليفة. يقول أحمد بن فارس: إن الجذر (خ ل ف) يتضمن معان، أبرزها: مجيء شيء بعد آخر ليحل محله[13]. ومصطلح "الخلافة" يعني النيابة عن الغير بتفويض، كما عرفه الراغب الأصفهاني: النيابة عن الغير لغيبة المنوب عنه، أو لعجزه أو موته أو تشريف المستخلف[14]. فالمعنى المراد بالاستخلاف هنا هو: **تكليف الإنسان بإعمار الأرض وإدارتها خلفًا لمن سبقه.**

بناء على ما سبق، يمكننا الآن تعريف الاستخلاف اصطلاحا، وهو: **تمكين الله للبشر عامةً ولبعضهم خاصةً في إحلالهم محل من كان قبلهم في ملكية الأرض والمال**[15].

ثانيا: أقسام الاستخلاف:

الاستخلاف نوعان: عام وخاص. **الاستخلاف العام** يشمل البشرية جمعاء مكلفة بإعمار الأرض واستثمار مواردها، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[16]. وقد ذهب جمهور المفسرين[17] إلى أن المراد بالخليفة هنا ليس آدم وحده، بل ذريته من بعده. **والاستخلاف الخاص:** التمكين الإلهي لبعض الأفراد أو الجماعات أو الأمم في الأرض، مع منحهم ما يحقق السيادة وإدارة

الموارد. قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[18]. ويتحقق الاستخلاف الخاص عندما تدير أمة أو دولة إقليما بما يحقق مصالح شعبها وفق العدالة الإلهية والإدارة الرشيدة[19].

المطلب الثاني: الإعمار والفساد والادخار نحو تنمية مستدامة في ضوء القرآن الكريم

أولا: إعمار الأرض باكتشاف ثرواتها واستثمارها

كرم الله تعالى الإنسان واستخلفه في الأرض، اكلّفه بإعمارها واستثمار مواردها بما يحقق مصلحته ويرضي الخالق. يعد هذا الإعمار ثمرة الاستخلاف، الذي يحمل الإنسان أمانة عمارة الأرض كتكليف إلهي ملزم: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[20]، وهذه الآية تفيد الطلب والإلزام كما بينه القرطبي[21].

وقد رسم القرآن الكريم معالم هذه المهمة من خلال ثلاثة أركان متكاملة: **الركن التكليفي** يتجلى في مفهوم الاستخلاف الذي يضع الإنسان في موضع المسؤولية، لا التحكم المطلق، ويستلزم منه الإصلاح لا الفساد. **والركن البيئي** يتمثل في علاقة الارتفاق بين الإنسان والأرض، القائمة على استثمار مواردها دون إهدار. **والركن المجتمعي** يتمثل في التزام الإنسان بتحقيق العدالة والصلاح في المجتمع، مستشعرا بالرقابة الإلهية.

ويعزز هذا التصور قولُ الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم...إلخ﴾[22]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[23].

ويتميز التصور القرآني للإعمار بشموله البعدين المتكاملين: المعنوي والمادي. **فالعمارة المعنوية** تتجسد في عبادة الله وطاعته، وهي الغاية من الخلق. **والعمارة المادية** تتمثل في استثمار الموارد وتحقيق الكفاية، وهي وسيلة تعين على تحقيق تلك الغاية. ولا تزدهر حضارة إلا إذا قامت عمارتها المادية على قيم روحية وأخلاقية، وقد حث القرآن الكريم على العمل والسعي والكشف عن خيرات الأرض واستثمارها، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[24]. وقوله ∆: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[25].وقوله ∆: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[26]. تؤكد هذه الآيات ضرورة العمل المنتج لتعزيز الاكتشاف والسعي، وبناء تنمية شاملة يتفاعل فيها البعد الروحي مع المادي، في انسجام مع مقاصد الشريعة ومبادئ العدالة والاستخلاف.

ثانيا: النهي عن الفساد في الأرض والتنمية المستدامة

منذ قصة خلق آدم –عليه السلام– يظهر القرآن الكريم أن الفساد وسفك الدماء أخطر ما يهدد استمرارية الحياة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ

فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[27]. فالملائكة أدركت تهديد الفساد لنظام الحياة، فجاء النهي الإلهي عنه صريحا في آيات عدة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[28]. وقوله Δ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[29]. وقوله Δ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[30]. وقوله Δ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾[31]. ويبلغ تحذير القرآن من الفساد ذروته حين يقترن الفساد بإراقة الدماء أو الإخلال بالأمن، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[32].

هذه الآيات تؤكد أن الفساد –ماديا كان أو معنويا– نقيض لمقصد الإعمار الذي استخلف الإنسان من أجله. وأمر الإنسان بإعمار الأرض بما يحفظ مواردها ويضمن صلاحها، لتستمر الحياة مزدهرة ومتوازنة وفق مقاصد الشرع.

النهي عن الإسراف وأثره في تحقيق التنمية المستدامة:

لا يعد القرآن الكريم الإسراف والتبذير سلوكيات مذمومة فحسب، بل يصورهما عائقين أمام التنمية المستدامة، ويعالج هذين السلوكين بإطار أخلاقي واقتصادي، إذ يعتبران انحرافا عن التوازن، وجوهر مقاصد الشريعة في حفظ المال والمصلحة العامة: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[33]، وفي موضع آخر يشدد القرآن الكريم على خطورة التبذير بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[34].

توجه هاتان الآيتان الأفراد والمجتمعات نحو الاعتدال في الاستهلاك لتحقيق الاستدامة وحفظ حقوق الأجيال القادمة. فالإسراف يستنزف الموارد ويسبب اضطرابا اقتصاديا واجتماعيا يقوض التنمية الشاملة.

ثالثا: الادخار والتخطيط الاقتصادي في ضوء التنمية المستدامة

مقابل النهي عن الإسراف، يبرز القرآن الكريم قيمة الادخار كسلوك حضاري يعكس مسؤولية الإنسان تجاه حاضره ومستقبله. فالادخار ركيزة أساسية للتنمية المستدامة، إذ يوازن بين الاستهلاك الحالي والاحتياجات المستقبلية، ويضمن حياة كريمة مع استمرار الموارد. ويسهم الادخار في التنمية المستدامة عبر **الاستعداد للأزمات**، إذ يمكّن الأفراد والمجتمعات من مواجهة الطوارئ والكوارث الاقتصادية بكفاءة، مما يعزز الاستقرار المالي والاجتماعي، **وتنظيم الموارد** الذي يساعد على تنظيم الدخل وضبط النفقات، وفق رؤية اقتصادية متوازنة، **وضمان الاستمرارية** المعبر عن تخطيط بعيد المدى، المرسخ مبدأ تأجيل بعض الاستهلاك الحاضر لصالح المستقبل.

تتجلى هذه المعاني بأبهى صورها في قصة نبي الله يوسف عليه السلام، حيث قال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾[35]. فلم يكن ذلك مجرد توجيه زراعي، بل خطة استراتيجية متكاملة لمواجهة المجاعات، تحفظ المحاصيل في أصولها، وتضمن جودة التخزين وتقليل الاستهلاك، استعدادا لسنوات العسر. وترسي هذه التعاليم القرآنية –بمضامينها الأخلاقية والاقتصادية– أسسا متينة للتنمية المستدامة، بتوازن دقيق بين عمارة الأرض وحفظها، وبين تلبية الحاجات الراهنة وصون

حقوق الأجيال القادمة.

المطلب الثالث: الفرق بين الرؤية القرآنية والأممية حول التنمية المستدامة

أولا: دوافع تحقيق التنمية المستدامة في رؤية الأمم المتحدة والقرآن الكريم

رؤية الأمم المتحدة: تنطلق خطة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة من دوافع ذات طابع مادي بحت، تتعلق أساسا بالمخاوف من نفاد الموارد الطبيعية أو سوء استخدامها، وترتكز هذه الرؤية على بعدين رئيسيين:

أ- **نفاد الموارد الطبيعية:** يرتبط هذا الدافع بنظريات اقتصادية قديمة، من أبرزها أفكار دافيد ريكاردو (صاحب نظرية شح الطبيعة) وتوماس مالتوس، اللذين حذّرا من محدودية الموارد وتصاعد الضغوط عليها مع تزايد عدد السكان، مما قد يؤدي إلى أزمات في الإنتاج الزراعي وتهديد الأمن الغذائي العالمي. وقد أسهم هذا التصور في ترسيخ القلق من اختلال التوازن بين نمو الموارد ونمو السكان[36].

ب- **سوء استخدام الموارد:** ينبع هذا الدافع من القلق إزاء استهلاك غير رشيد للموارد الطبيعية، وما يترتب عليه من إضرار بالبيئة، وتفاقم الأزمات الاجتماعية والاقتصادية[37].

أما **الرؤية القرآنية** فتنبثق من دوافع عقدية وأخلاقية تتجاوز الأبعاد المادية، وترتبط بمقاصد الخلق وواجبات الاستخلاف، ويمكن تلخيص أبرز ملامحها في النقاط الآتية:

أ- **الثقة بوعد الله:** يؤكد القرآن الكريم أن الله تعالى قدّر أرزاق الخلق وضمنها، وأن موارد الأرض كافية لحاجات البشرية، شريطة أن يقوم الإنسان بدوره في الإعمار والسعي.

ب- **النهي عن الإساءة للموارد:** يربط القرآن الكريم بين حسن استثمار الموارد وتحقيق العدالة الاجتماعية، ويدين مظاهر الإسراف والتبذير لا باعتبارها مخاطر اقتصادية فحسب، بل باعتبارها فسادا يهدد مقاصد الشريعة كحفظ المال وتحقيق الصلاح، ويقوض استقرار المجتمعات.

ثانيا: أوجه التباين في دافع تحقيق التنمية المستدامة

يتجلى الفرق بين المفهومين في منطلقات كل منهما:

رؤية الأمم المتحدة تنطلق من تصورات مادية مقلقة بشأن مستقبل الموارد، وتبني مفاهيمها على فرضيات قد لا تستند دوما إلى حقائق علمية راسخة، بل تغذّيها هواجس بشرية حول الندرة والتنافس والصراع على الموارد.

تستند **الرؤية القرآنية** إلى إيمان راسخ بوعد الله في الرزق والتدبير، حيث تؤكد النصوص القرآنية وفرة الموارد وقدرتها على تلبية حاجات الخلق جميعا: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾[38]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[39]. هذه الرؤية تغرس في قلب الإنسان الإيمان بالمسؤولية، وتدفعه للعمل في الأرض من منطلق الاستخلاف، لا بدافع الخوف والقلق.

حقيقة فكرة شح المموارد:

الرؤية القرآنية لا تنفي أهمية العمل والاجتهاد، بل تحوله إلى واجب شرعي، وتمنح الإنسان طمأنينة بأن الموارد لن تنفد ما دام يأخذ بالأسباب ويؤدي الأمانة. فإن الندرة من هذه الزاوية ليست حتمية، بل غالبا ما تكون نتيجة لسوء الإدارة أو الفساد أو التوزيع غير العادل، لا لزيادة عدد السكان. وتشير الوقائع إلى أن ما يسمى بـ "شح الموارد" ليس مشكلة كونية شاملة، بل أزمة في كيفية التصرف البشري، مما يجعل الأزمة أخلاقية قبل أن تكون بيئية أو اقتصادية. وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾[40].

بل إن الحقائق العلمية تثبت أن ازدياد عدد السكان لم يكن عائقًا أمام توافر الموارد، وإنما شهد العالم زيادة في امتلاك السلع الكمالية، لا الضرورية فحسب، حتى بين الفئات ذات الدخول المحدودة. **أما الغذاء فقد أثبتت الدراسات** أنه متوفر على هذا الكوكب بما يفوق حاجة كل فرد من عناصره الأساسية، **وأن كل مولود جديد يقابله رزقٌ مقسوم من الرحمن**. فإن ازدياد السكان تصاحبه زيادة في الموارد تكفي الاحتياجات البشرية المتجددة، وهو برهان ساطع على وعد الله ورزقه الذي لا ينقطع. وإن ظهر "شح" في الموارد الطبيعية في منطقة ما، فإنما يعود ذلك إلى عوامل بشرية كالإسراف في الاستهلاك، أو سوء إدارة الموارد، أو توزيعها غير العادل على المستحقين على المستوى الدولي، وليس بسبب زيادة السكان. **فإنما العجز الحقيقي ليس في الموارد، بل في الأيدي التي تديرها، وفي القلوب التي تحمل مسؤوليتها**[41].

فالقرآن الكريم ينظر إلى الموارد الطبيعية كأمانة، وإلى الإنسان كمستخلف عليها، مسؤول عن إدارتها برشد وعدل، وليس كمالك مطلق يفعل بها ما يشاء.

المبحث الثالث: مفهوم التعليم الجيد عند الأمم المتحدة

يعد التعليم الجيد حجر الزاوية في رؤية الأمم المتحدة للتنمية المستدامة، فلا تقدم حضاري دون تعليم عادل وشامل؛ لذلك أدرجته الأمم المتحدة ضمن أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر، كجزء محوري من أجندتها لعام 2030. و خصص الهدف الرابع للتعليم بعنوان: "ضمان تعليم جيد وعادل وشامل وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع"، ويشمل غايات فرعية توضح أبعاده المتنوعة.

المطلب الأول: التعليم والجيد لغة واصطلاحا وعند الأمم المتحدة

أولا: التعليم لغةً واصطلاحا

تشتق كلمة "التعليم" من الجذر (ع ل م)، الذي يدل على أثر يميز العارف بالمعرفة عن الجاهل. والتعليم مصدر من "علّم"، يعني: نقل العلم للإنسان ليدركه ويفهمه[42]. وإن العلم نقيض الجهل[43]، وصيغة "فعل" تدل على التكرار والقوة[44]، فالتعليم ليس مجرد نقل عابر، بل جهد منظم لترسيخ المعرفة في ذهن المتعلم. وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا**﴾[45]، وقوله تعالى: ﴿**وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ**﴾[46].

يحظى التعليم بأهمية كبيرة في الأوساط الأكاديمية والتربوية والمجتمعية لدوره في صياغة الفرد وتنمية المجتمع. ورغم تعدد تعريفاته، يعد تعريف الأمم المتحدة من أكثرها شمولًا وتأثيرا عالميا، حيث ورد في وثائقه بصيغ متعددة، منها: "عملية نقل الوعي والمعرفة والمهارات والمواقف أو السلوكيات". و"مجال دراسي يعنى

بعملية التعليم والتعلم"، كما في تعريف حكومة كوينزلاند[47]. لكن التعريف الأشمل: "**التعليم هو العملية التي تنقل بها المجتمعات معلوماتها ومعارفها وقيمها ومهاراتها وسلوكياتها عبر الأجيال بطريقة منهجية ومنظمة، في إطار تواصل يهدف إلى تحقيق التعلم**"[48]. ويمتاز هذا التعريف بعدة سمات رئيسية، من أبرزها:

أ- أنه عملية واعية ومقصودة تهدف إلى غاية معرفية وسلوكية.

ب- يتضمن نقلا منظما **للمعارف والثقافة** من جيل إلى آخر، عبر مؤسسات تعليمية معترف بها.

ت- يركّز على تحقيق التعلّم كهدف مركزي، لا مجرد اكتساب مهارات ظرفية أو عابرة.

هذا التصور يكشف ارتباط التعليم بالتنمية، فلا تنمية دون تعليم يحرر العقول وينمي الطاقات في عالم متسارع التغيرات. كما أضاف الهدف الرابع بعدا نوعيا للتعليم، حين ركز على ضرورة أن يكون التعليم تعليما جيدا، مما يتطلب بيان معنى "الجيد" لغويا واصطلاحيا.

ثانيا: الجيد في اللغة واصطلاحا

تشتق كلمة "جيد" من الجذر (ج و د)، وتدلُّ على السمح بالشيء والحسن والعطاء[49]. يقال: "جاد الشيء"، أي صار حسنا، و"أجاد عمله" أي: أتقنه. فالجيد يعني: الإتقان والتميز، ويضاد الرداءة[50]. يتماشى المعنى الاصطلاحي مع اللغوي، حيث يقصد بالجيد تحسين العملية التعليمية في مكوناتها: الطالب، والمعلم، والمحتوى، والبيئة، والإدارة. وليس التعليم الجيد مجرد مهارة تقنية، بل رسالة لتكوين إنسان متوازن قادر على الفهم، والنقد، والإبداع، وبناء مجتمعه[51]. أما في الوثائق الرسمية للأمم المتحدة، فقد جاء التعبير عن التعليم الجيد ضمن الصيغة الآتية: "**ضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع، وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع**"[52]. يشمل هذا التعريف العدالة، وشمولية الفرص، والاستمرارية، ليكون مدخلا محوريا للتنمية المستدامة بفاعلية.

المطلب الثاني: التعليم الجيد ذو طابع علماني وغربي

يطرح الخطاب التعليمي العالمي الحديث مفاهيم مثل الثقافة العالمية والمواطنة العالمية، تحمل طابعا كونيا، لكنها غالبا تنطلق من مرجعيات علمانية غربية، وتشكّل تهديدا للهويات الثقافية المحلية، خاصة الثقافة الإسلامية. تشير الأدبيات إلى أن العولمة الثقافية تروّج عبر الإعلام والتعليم لنموذج ثقافي غربي يهمش القيم الإسلامية ويعرضها للاندثار، ويبرز مفهوم "الإمبريالية الثقافية" كنقد أساسي، إذ يحذر بيتر باير (**Peter Beyer**) من أن القوة الناعمة الغربية تفرض قيما ونمطَ حياة على المجتمعات الأخرى، مما يؤدي إلى تآكل خصوصياتها الثقافية والدينية[53]. نوضّح ذلك من خلال وثائق الأمم المتحدة.

أولا: التعليم الجيد وحقوق الإنسان

ما يعرف عالميا بالتعليم الجيد اليوم ليس مفهوما محايدا، بل يستند إلى رؤية علمانية تسعى لتشكيل وعي الإنسان وقيمه بعيدا عن المرجعيات الدينية، خاصة الإلهية التي تشكل جوهر التصور الإسلامي للتعليم. وأصبح التعليم في وثائق دولية، مثل: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (1948)، ووثيقة التربية على حقوق الإنسان (2011)، وميثاق مجلس أوروبا (2010) أداة لصياغة الإنسان وفق ثقافة كونية ليبرالية. ويعزز التعليم "المواطنة العالمية" التي تذيب الانتماءات الدينية والثقافية في إطار مدني يروج للتعددية والانفتاح دون

تمييز قيمي بين الإيمان والكفر.

تنص المادة 26 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنّ التعليم يجب أن يكون مجانيا وإلزاميا في مراحله الأولى، ومتاحا فنيا ومهنيا وعاليا بناء على الكفاءة، وهو ما يبدو للوهلة الأولى مظهر العدالة، **لكن الإشكالية تكمن في غايته.** تحدد المادة 26 أن التعليم يهدف إلى "التنمية الكاملة لشخصية الإنسان وتعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية"، إضافة إلى "غرس قيم التفاهم والتسامح والصداقة بين الأمم والفئات الدينية والعرقية"، والمشاركة في "أنشطة حفظ السلام" التابعة للأمم المتحدة[54].

ثانيا: أهداف التربية على حقوق الإنسان ووثائق دولية لتعميم ثقافة علمانية كونية

أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة "إعلان التربية على حقوق الإنسان والتدريب" في 19 ديسمبر 2011، كأول وثيقة دولية مخصصة للتربية على حقوق الإنسان كحق أساسي، موكلة الدول مسؤولية دمجها في سياساتها ومناهجها التعليمية.

سبق هذا الإعلان "عشرية الأمم المتحدة للتربية على حقوق الإنسان" (1995–2004)، التي قدمت إطارا استراتيجيا لتعزيز نموذج عالمي يهدف إلى صياغة وعي الأجيال بقيم "الاحترام الكوني والحياد القيمي والمواطنة العالمية". وتبع ذلك البرنامج العالمي للتربية على حقوق الإنسان (2004)، الذي عزز هذا التوجه بدعوة الدول لدمج هذه القيم في أنظمتها التعليمية، مع إشراك المجتمع المدني والشباب والمؤسسات الإعلامية والثقافية[55].

حدد ميثاق مجلس أوروبا (2010) التربية على حقوق الإنسان بأنها: "التربية والتدريب ونشر الوعي والممارسات التي تهدف إلى تمكين المتعلمين للمساهمة في بناء ثقافة عالمية لحقوق الإنسان في المجتمع والدفاع عنها"[56]. هذا التعريف يكشف نموذجا فلسفيا يوجه التعليم ليكون أداة لغرس قيم علمانية كونية، منفصلة عن الدين، بل متعالية على الخصوصيات العقدية والثقافية.

ثالثا: الخصائص القيمية للنموذج العالمي المعاصر

يتضح من الوثائق الدولية أن هذا النموذج:

أ- يتجاوز التعليم كونه وسيلة لاكتساب المهارات أو التقدم الوظيفي؛ ليكون أداة لتشكيل هوية إنسانية كونية تتبنى التعددية، وتؤسس "لاحترام المتبادل" بين الأديان والأفكار **دون تمييز بين الحق والباطل.**

ب- يدمج التعليم في مشروع إعادة صياغة الوعي الإنساني وفق مرجعيات علمانية غربية، معتبرا القانون الدولي لحقوق الإنسان المرجع الأعلى للمجتمعات.

ت- يسعى إلى إضعاف الانتماءات العقدية المحلية لصالح هوية كونية تحول المواطن إلى فرد يتبنى قيما خالية من المرجعية الدينية.

فإن التعليم الجيد في هذه الوثائق ليس حياديا كما يروج له، بل نموذج أيديولوجي علماني يتعارض مع التصور الإسلامي الذي يجعل التعليم وسيلة للهداية وبناء شخصية ربانية[57].

رابعا: غايات ومؤشرات "التعليم الجيد"

يعد الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة محورا رئيسيا في أجندة الأمم المتحدة 2030، يتبنى ظاهريا مفاهيم "الجودة والعدالة والإنصاف" في التعليم، لكنه يندرج ضمن تصور علماني يصوغ التعليم كمشروع

تمكيني يفصل المعرفة عن القيم الدينية، ويرتبط بحقوق الإنسان حسب المواثيق الدولية، لا حسب الشرائع الدينية.

حقيقة تعليم منصف وشامل مدى الحياة:

ينص الهدف الرابع على "ضمان تعليم جيد، ومنصف، وشامل للجميع، وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة"، وتبدو هذه الصياغة عادلة وشاملة، لكنها ترتبط بغايات فرعية تكشف رؤية علمانية تمكينية، وتصور التعليم أداة لخلق إنسان عالمي يتبنى المواطنة العالمية وحقوق الإنسان وفق المرجعية الليبرالية، لا الدينية. وتفصيل ذلك كالآتي:

تركز الغايات 4.1 و4.2 و4.3 على توفير تعليم مجاني ومنصف، وفرص متكافئة للالتحاق بالتعليم الفني والعالي، مع اعتبار التعليم "حقا إنسانيا" يرتبط بتمكين الفرد دون اشتراط تأصيل عقدي في المناهج.

تركز الغايتان 4.4 و4.6 على إكساب المهارات الأساسية والمهنية، بما فيها تكنولوجيا المعلومات، لتأهيل الفرد لسوق العمل، مما يعزز الطابع الوظيفي للتعليم ويجعله وسيلة للإنتاج فقط بدون تهذيب إيماني.

تؤكد الغاية 4.5 إزالة التفاوتات، خاصة بين الجنسين، مما يعكس تبني النموذج للمساواة الليبرالية غير المقيدة بالمرجعية الدينية.

تعد الغاية 4.7 الأكثر وضوحا في كشف المرجعية الفكرية للهدف الرابع، إذ تنص على: "ضمان اكتساب المتعلمين المعارف والمهارات لتعزيز التنمية المستدامة، بما يشمل التعليم لأنماط حياة مستدامة، وحقوق الإنسان، والمساواة بين الجنسين، والمواطنة العالمية، وتقدير التنوع الثقافي". يتضح هنا أن التعليم ليس مجرد نقل معرفة أو تنمية عقلية، بل أداة لإعادة صياغة وعي الإنسان وفق أسس علمانية كونية، تسعى إلى:

أ- ترسيخ المواطنة العالمية التي لا تفرق بين الحق والباطل والإيمان والكفر.

ب- غرس حقوق الإنسان والمساواة الجندرية بمعزل عن المرجعية الدينية.

ت- تعزيز التسامح والسلام من منظور علماني يتجاوز الحدود العقدية.

يؤكد ذلك المؤشر 4.7.1، الذي يقيس إدماج هذه القيم في السياسات والمناهج التعليمية وتدريب المعلمين وتقييم الطلاب، مما يجعل التعليم أداة لتوجيه الهوية والقيم بمنظور علماني.

إعادة تشكيل الإنسان العالمي

يتبين من تحليل الغايات والمؤشرات أنّ:

أ- **التعليم يقدّم كحق تمكيني علماني**، لا كأمانة ربانية، فهو لا يهدف إلى إعداد الإنسان للعبودية لله أو الاستخلاف، بل ليكون مواطنا عالميا يندمج في النظام الغربي الدولي.

ب- تعتمد **المرجعية الفلسفية** للنموذج على حقوق الإنسان، لا على القيم الدينية، مما يجعل التعليم أداة لإعادة صياغة الإنسان وفق أسس علمانية.

ت- يرتبط التعليم الجيد **بمشروع الأمم المتحدة لإعادة تشكيل المجتمعات** عبر استراتيجيات ناعمة تتسلل من بوابة التنمية، والعدالة، والمساواة، و...، وتهدف إلى تفكيك المرجعيات الدينية والثقافية.

بناء على تحليل غايات ومؤشرات الهدف الرابع، اتضح أن **"الأمم المتحدة تصوغ التعليم كحق**

إنساني يعتمد على قيم علمانية غربية".

خامسا: التعليم الجيد أداةٌ للهيمنة الثقافية

لقد أوضحنا أن النموذج التعليمي العالمي السائد يقوم على فلسفات علمانية غربية، ونناقش الآن كيف لعب "التعليم الجيد" دورا في طمس الهوية، والسيطرة على العقول، والهيمنة الثقافية.

لعبت الولايات المتحدة دورا رئيسيا في هندسة النمط التربوي العالمي، عبر السيطرة على منظمات دولية معنية بالتعليم والثقافة مثل اليونسكو، ولم تكتف واشنطن بتوجيه هذه المنظمات ثقافيا، بل استخدمت أدوات التمويل، كصندوق النقد والبنك الدولي، لفرض شروط تربوية. برز ذلك بوضوح بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 ، التي استغلت لتبرير التدخل تحت شعار "الحرب على الإرهاب"، بينما كان الهدف إعادة صياغة وعي المجتمعات الإسلامية وفق المنظومة الغربية.

تَجسَّد هذا التدخل في إملاءات مباشرة على دول إسلامية كباكستان والسعودية ومصر وأفغانستان؛ لإعادة صياغة مناهجها التعليمية، خاصة في قضايا الجهاد أو الانحرافات العقدية للفكر الصهيوني، بدعوى أنها تثير "التعصب" وتعيق "السلام". فظهرت آثار هذه الإملاءات في الخطاب التربوي، حيث استبدلت عبارات مثل "العدو الصهيوني" بـ"الأراضي المحتلة"، وأُدرجت خريطة إسرائيل كواقع جغرافي في بعض المناهج[58].

لقد تبين أن التعليم الجيد ليس مشروعا ثقافيا محايدا، بل أداة للهيمنة الكونية، تستهدف طمس الخصوصيات الدينية وإنتاج أجيال منفصلة عن تراثها، تسعى وراء تصورات غربية مغتربة. إن الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة (التعليم الجيد) لا يهدد المنظومات التعليمية في العالم الإسلامي فحسب، بل يحد من حقنا في تعليم أبنائنا وفق رؤانا العقدية والأخلاقية. إنه مشروع يسعى إلى تفكيك الشخصية الإسلامية وفرض هوية هجينة تحت شعارات الحداثة والتسامح، فيما هي شكل جديد من الاستعمار الثقافي[59].

إنّ ما يسمى بـ "التعليم الجيد" في الخطاب التربوي العالمي ليس محايدا، بل أداة سياسية تستخدم لتشكيل العقول بما يخدم الهيمنة الغربية.

المبحث الرابع: مفهوم التعليم الجيد من خلال السيرة النبوية القرآنية

تقدّم القرآن الكريم رؤية شاملة للعلم والتعليم، فهو لا يعترف بتقدم لا يستند إلى العلم، ولا يقبل بعلم منفصل عَنّ الوحي وغاية الخلق: عبادة الله. إن العلم في القرآن الكريم ليس مجرد تراكم معرفي، بل منهج رباني لصناعة الإنسان وإعداد الأمة لتحقيق الاستخلاف في الأرض.

المطلب الأول: العلم سبيل التقدم، والتعليم الجيد

أولا: العلم سبيل النهضة والتقدم

أشار القرآن الكريم إلى أن تفضيل الله لبني إسرائيل في زمانهم –القائم على المعرفة لا العرق– كان نتيجة تميزهم العلمي المستند إلى الوحي: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[60]. ويقول القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ﴾ يعني بني إسرائيل، ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ أي: على علم منَّا بهم لكثرة الأنبياء منهم[61]. كذلك تبرز قصة نبي الله سليمان عليه السلام مركزية العلم في بناء الحضارات، إذ بدأ الحديث عن نبوته بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[62]. وفي قضية جلب عرش ملكة سبأ، تنافس الحاضرون هناك، ففاز صاحب علم: ﴿قَالَ

﴿عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى...إلخ﴾[63]. فالعلم هنا مصدر التمكين الحقيقي[64].

ثانيا: التعليم الجيد من خلال السيرة النبوية القرآنية

يعد التعليم الجيد ركيزة أهداف التنمية المستدامة، ويندرج تحت الهدف الرابع: "ضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعلّم مدى الحياة للجميع"، ويتفرع عنه مقاصد وغايات، نوجزها كالتالي:

4.1: توفير تعليم ابتدائي وثانوي مجاني ومنصف وعالي الجودة للجنسين.

4.2: تعزيز التنمية والرعاية المبكرة للأطفال قبل الابتدائي.

4.3: ضمان تعليم مهني وعالي بجودة وتكلفة ميسورة.

4.4: تنمية المهارات المهنية والتقنية للشباب والكبار للعمل.

4.5: القضاء على التفاوت بين الجنسين وتكافؤ الفئات الضعيفة.

4.6: محو الأمية وتعليم الحساب.

4.7: تعليم المعارف والمهارات لدعم التنمية المستدامة والسلام.

4.8: إنشاء منشآت تعليمية تراعي الجودة والإعاقة والسلامة.

4.أ: بناء بيئات تعليمية آمنة وشاملة تراعي الجنس والإعاقة.

يجد المتأمل في السيرة النبوية القرآنية أنها سبقت في الإشارة إلى هذه المقاصد، لكنها تختلف عن الرؤية العلمانية الغربية. فالتعليم في القرآن الكريم مصدره الله سبحانه وتعالى، ووسيلته التزكية، وغايته عمارة الأرض بالحق والعدل الإلهي.

ارتباط مقاصد التعليم الجيد بالقرآن:

بداية الوحي بالقراءة والتعلم والتعليم (4.1 و4.6): أول ما نزل من الوحي قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[65]. هذه الآيات إعلان عالمي للتعليم، تؤكد أن القراءة والكتابة أدوات فطرية لتحرير الإنسان، وقد اختيرت لتكون مفتاح الرسالة الخاتمة.

التعلم مدى الحياة (4.7): يؤكد القرآن الكريم طلب العلم الدائم بقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[66]، فإن المؤمن —ولو كان نبيا— لا يشبع من العلم حتى يكون منتهاه الجنة.

تكريم أهل العلم (4.1 و4.5): يربط القرآن الكريم الإيمان والعلم بالرفعة: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[67]، مشيرا إلى العدالة التعليمية.

المساواة بين الجنسين في التعليم (4.5)[68]: تؤكد الآية: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[69] عدم التمييز بين الجنسين في العلم[70].

التفكير الواعي (4.4 و4.7): يحث القرآن الكريم على التفكر مؤسسا لتعليم معرفي يعتمد

التفكر: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[71]، ويربط بين العبادة والعلم والفهم الكوني، ويرسخ منهج التعليم القائم على التفكر والاستنتاج[72]: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[73]، وقوله تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[74]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[75].

التعليم الشامل (4.5 و4.أ): تبرز آية: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾[76] شمولية التعليم، مؤكدة حق ذوي الإعاقة، رافضة التمييز الطبقي.

التعليم للتنمية والسلام (4.7): يتجلى في آيات قرآنية لتربية الضمير وإعداد إنسان صالح: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[77]، وفي سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[78].

تتجلى مقاصد التعليم الجيد في القرآن الكريم من خلال محو الأمية، والتعلم المستمر، وتنمية المهارات، والسلام، وما إلى ذلك، وتبرز ذلك السيرة النبوية القرآنية في لحظة الوحي، وخطاب النبي ﷺ العالمي، وتعليمه بلا تمييز، وتكريمه للعقل والعلم.

المطلب الثاني: رؤية تأصيلية للتعليم الجيد في القرآن الكريم

يتمثل الفرق الأساسي في أن القرآن الكريم يرى العلم من الله، ومسؤوليته التزكية، وغايته عبادة الله؛ فيتجاوز مفهوم التعليم الجيد في القرآن الكريم رؤية الأمم المتحدة كما يلي:

أولا: المعلم الأول للإنسانية هو الله سبحانه وتعالى

يتمثل أول مشهد تعليمي في تاريخ البشرية في تعليم الله لآدم عليه السلام: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[79]، وتؤكد هذه الآية أن العلم هبة إلهية سابقة لإدراك الإنسان، تُهيئه للخلافة في الأرض. فالله هو المعلم الأول، وهو مصدر العلم وغايته.

ثانيا: ارتباط العلم بالتقوى

ليس كافيا أن يوهب الإنسان العلم، بل يجب أن يزوَّد بنفس طاهرة لاستقباله وتفعيله؛ لذلك ربط

القرآن الكريم بين العلم والتقوى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[80]. إن التقوى هنا حالة روحية تفتح أبواب الفهم والحكمة، فكلما ارتقى الإنسان في التقوى، ازدادت قابليته للعلم الحق. فيحمل العلم مسؤولية أخلاقية، إذ هو أمانة ووراثة نبوية[81]. ومن هذا المنطلق، خص الله العلماء بالخوف الحقيقي: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[82]؛ لإدراكهم عظمة الله بفهم دقيق.

ثالثا: العلم النافع في القرآن

يظهر القرآن الكريم سمو العلم بتعليم نبيه هذا الدعاء: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[83] مؤكدا أن الحاجة للعلم لا تنقطع حتى مع النبوة، وفي الحديث: «**اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علما**»[84]. ويوضح الصنعاني في "سبل السلام" أن العلم المطلوب هو النافع الذي يصلح الدين والدنيا ويعود بالخير على الأمة[85]، وكل علم مباح مرغَّب فيه ومأجور عليه، بشرط ألا يتعارض مع الوحي، وأن يكون مقرونا بالنية الصالحة.

الرسالة التعليمية الخالدة:

وصف الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بمعلم، إذ من مهام بعثته الأساسية تعليم الناس الكتاب والحكمة، وتزكيتهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[86]. فإن التعليم القرآني الذي جاء به الرسول خالد؛ لأنه مستمد من الكتاب الخالد. كما يربط القرآن الكريم التلاوة والتزكية بتربية شاملة تبني الإنسان علما وسلوكا.

لا يقتصر التعليم في القرآن الكريم على المعارف النظرية أو المهارات العملية، بل يرتبط بحياة الإنسان من المهد إلى البعث، مواكبا تطلعاته في الدنيا والآخرة. ويعالج القرآن الكريم مراحل الإنسان ويجيب عن أسئلته الجوهرية: **من أين أتى؟ إلى أين يمضي؟ وما غاية وجوده؟** وهي أسئلة غائبة عن النظم التربوية الحديثة.

العلم بوصلته الوحي، وميدانه الكون كله:

إن الرجوع إلى العلم المستمد من الوحي، الذي معلمُه الأول الله سبحانه، لا يعني الانغلاق الحضاري، بل امتلاك بصيرة تميز بين النافع والهدام. **فإن الإسلام يقبل العلم الوافد بشرط ألا يتعارض مع الوحي.**

كما أن التعليم في القرآن الكريم فعل أخلاقي وحضاري، مرتبط بالغاية الكبرى: العبودية لله وعمارة الأرض بالعدل الإلهي والرحمة. فلا ينبغي أن ينفصل النظام التعليمي في المجتمعات المسلمة عن هذا التصور، الذي يجعل العلم جسرا بين الوحي والإنسان، وبين التقدم والأخلاق. **إنه تعليم يصوغ إنسانا متزنا، يهتدي بالوحي ويستعين بأدوات العصر نحو الاستخلاف المنشود.**

الخاتمة

أولا: نتائج البحث

تناول البحث "دور التعليم الجيد في تحقيق التنمية المستدامة من خلال السيرة النبوية القرآنية" مفهومي **التنمية المستدامة والتعليم الجيد** من منظوري الأمم المتحدة والسيرة النبوية القرآنية، مع مقارنة تحليلية

بينهما لاستخلاص أوجه التوافق والاختلاف، مستخدما المنهج التحليلي المقارن، وأسفر عن النتائج الآتية:

أ- تعرف الأمم المتحدة **التنمية المستدامة** بأنها تلبية احتياجات الحاضر دون المساس بحقوق الأجيال القادمة، وتندرج في إطار خطة 2030 التي تتضمن 17 هدفا مترابطًا، وتركز على الأبعاد الاقتصادية والبيئية والاجتماعية بطابع عالمي وشامل، وتتطلب تنسيقا دوليا وتمويلا مستداما لتحقيقها.

لم يرد مصطلح التنمية المستدامة في **القرآن الكريم** نصًّا، إلا أن معناه يتجسد في مفاهيم الاستخلاف وإعمار الأرض، مع النهي عن الفساد والإسراف، والحثّ على الادخار والتخطيط الرشيد. يقوم التصور القرآني على ثلاثة أركان متكاملة؛ تكليفي: تحميل الإنسان مسؤولية الإصلاح لا الفساد، وبيئي: إقامة علاقة ارتفاق مع الأرض تقوم على الاستثمار دون إهدار، ومجتمعي: الالتزام بالعدالة والصلاح تحت وعي الرقابة الإلهية.

ب- **الفرق بين الرؤية القرآنية والأممية حول التنمية المستدامة:** تنطلق رؤية الأمم المتحدة من دوافع مادية يهيمن عليها الخوف من نفاد الموارد وسوء استخدامها، بينما تتجاوز الرؤية القرآنية هذا القلق المادي، وتؤكد أن الأرزاق مكفولة بوعد الله، وهو ما يعضده علم الحديث أيضا. ويرى القرآن الكريم أن "الشح" ليس نتيجة زيادة السكان، بل بسبب الإسراف وسوء الإدارة والتوزيع غير العادل عالميا. كما يعتبر إساءة استخدام الموارد جريمة أخلاقية تخل بمقاصد الشريعة في حفظ المال والصلاح، وينظر إلى الموارد كأمانة، وإلى الإنسان كمستخلف مسؤول عن إدارتها بعدل إلهي ورشد، لا كمالك مطلق.

ت- يعد **التعليم الجيد** ركيزة أساسية في خطة الأمم المتحدة لتحقيق التنمية المستدامة، ويقدَّم كحق إنساني قائم على مرجعية فلسفية علمانية غربية منفصلة عن الدين. فإن التعليم الجيد ليس مفهوما معرفيا محايدا، بل يهدف إلى صياغة وعي إنساني ليبرالي، وبناء هوية كونية تتجاوز الانتماءات العقدية، وإزالة التفاوتات بين الجنسين وفق المساواة الليبرالية، واعتماد القانون الدولي لحقوق الإنسان كمرجعية عليا؛ لإضعاف الانتماءات الدينية، ومحو الفرق بين الحق والباطل، والإيمان والكفر. كما تلزم الأمم المتحدة الدولَ بدمج هذا التصور في المناهج التعليمية، مستخدمة مؤسسات ومنظمات دولية مثل اليونسكو كأدوات للهيمنة الثقافية، وقد برز ذلك بوضوح بعد أحداث 11 سبتمبر حين أعيدت صياغة مناهج الدول الإسلامية لطمس هويتها تحت شعارات "التسامح" و"الحداثة"؛ لخدمة مشروع الهيمنة الغربية على تشكيل الأجيال.

ث- تقدم **السيرة النبوية القرآنية** مفهوما للتعليم بوصفه منهجا ربانيا لصناعة الإنسان وإعداد الأمة للاستخلاف في الأرض، ومصدره الله سبحانه وتعالى، وغايته العبودية له وعمارة الأرض بالحق والعدل، ووسيلته التزكية. وقد سبقت السيرة في الإشارة إلى مقاصد وغايات التعليم الجيد بوجه عام، مع اختلافها الجوهري عن التصور الغربي العلماني. فالعلم في القرآن أمانة ووراثة نبوية، لا ينفصل عن الوحي، ويرتبط بالتقوى والمسؤولية الأخلاقية. التعليم القرآني شامل للحياة كلها، من المهد إلى البعث، ويعالج الأسئلة الكبرى لوجود الإنسان: من أين أتى؟ إلى

أين يمضي؟ وما غاية وجوده؟ كما يقبل القرآن الكريم العلم النافع، ولو كان وافدا، بشرط ألا يتعارض مع الوحي؛ ليكون جسرا بين التقدم والأخلاق، ويصوغ إنسانا متزنا يهتدي بالوحي، ويستعين بأدوات العصر لتحقيق الاستخلاف.

ج- **الفرق بين الرؤية القرآنية والأممية حول التعليم الجيد:** تُقدّم الأمم المتحدة التعليم الجيد كأداة لخلق وعي ليبرالي عالمي، وهوية كونية علمانية تذيب الخصوصيات العقدية والثقافية، بينما القرآن الكريم يرى التعليم منهجا ربانيا يربط العلم بالتقوى والأخلاق، ويهدف إلى بناء إنسان متوازن يجمع بين عمارة الدنيا والاستعداد للآخرة. فإن التعليم في الرؤية القرآنية متصل بالوحي ومقاصده، في حين أن التعليم في الرؤية الأممية منفصل عن الدين، ويستمد مرجعيته من فلسفات غربية علمانية.

ثانيا: التوصيات والمقترحات

استنادا إلى نتائج هذا البحث، نقترح التوصيات والمقترحات الآتية:

أ- **إنشاء هيئات رقابية متخصصة** تعنى بمتابعة المناهج التعليمية وضمان توافقها مع الهوية الإسلامية، مع العمل على مواجهة التأثيرات الفكرية والعلمانية التي تهدد خصوصيتنا الدينية.

ب- **دمج القيم التعليمية القرآنية** في المناهج الدراسية، مع الالتزام في الوقت ذاته بمعايير الجودة العالمية، بحيث تتكامل المعرفة الحديثة مع القيم الروحية والأخلاقية.

ت- **تطوير مناهج رقمية مبتكرة** مستوحاة من القرآن الكريم والسنة النبوية، تعنى بتنمية المهارات العصرية والتقنيات الحديثة، مع ترسيخ المبادئ الإسلامية في نفوس المتعلمين.

ث- **إثراء الدراسات المرتبطة بأهداف التنمية المستدامة:**

1. إعداد بحوث ومواد أكاديمية تبرز نقاط الاختلاف والتمايز بين الرؤية القرآنية والرؤية الأممية، مع التركيز على البعدين الأخلاقي والمادي.
2. دراسة وتوثيق أمثلة من التاريخ الإسلامي، ولا سيما في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، لإظهار النماذج العملية المتوازنة لتطبيق مبادئ التنمية المستدامة.

وفي الختام أقول: إن الحفاظ على التشريعات المستمدة من القرآن الكريم واجب شرعي لا يقبل المساومة، وينبغي رفض كل أشكال الضغوط التي تمس ثوابتنا الدينية. ولنعلم يقينا أن أي تشريع يخالف كلام الله تعالى لن يحقق عدلًا حقيقيا ولا استقرارا دائما.

References

(1) محمد ابن منظور الإفريقي، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، 1414)، 15:341.

(2) أحمد مختار وآخرون، **معجم اللغة العربية المعاصرة** (القاهرة: عالم الكتب، 1429)، 3:2290.

(3) أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة** (بيروت: دار الفكر، 1399)، 2:315. ومحمد ابن منظور الإفريقي، **لسان العرب**،

.213:12

(4) موقع وزارة الطاقة والبنية التحتية للإمارات العربية المتحدة، تاريخ الاطلاع عليه: 7-8-2025، **https://www.moei.gov.ae/ar/e-participation/blog**

(5) عثمان محمد غنيم وماجدة أبو زنط، **التنمية المستديمة: فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها** (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2014)، 25.

(6) اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية، **مستقبلنا المشترك**، ترجمة: محمد كامل عارف (الكويت: عالم المعرفة، 1989)، 69.

(7) موقع الأمم المتحدة، تاريخ الاطلاع عليه: 7-8-2025. **https://sdgs.un.org/ar/goals**

(8) الأمم المتحدة، **قرار اتخذته الجمعية العامة في 25 سبتمبر 2015** (نيويورك، 2015)، 17-18. وموقع الأمم المتحدة، تاريخ الاطلاع عليه: 7-8-2025، **https://unctad.org/system/files/official-document/ares70d1_ar.pdf**

(9) موقع الأمم المتحدة، تاريخ الاطلاع عليه: 7-8-2025، **https://www.ohchr.org/ar/sdgs/about-2030-agenda-sustainable-development**

(10) فريق من لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)، **دليل مرجعي حول خطة التنمية المستدامة لعام 2030**، 7. وموقع الأمم المتحدة، تاريخ الاطلاع عليه: 7-8-2025، **https://unsdg.un.org/sites/default/files/2021-09**

(11) أيضا: 8.

(12) أيضا: 9.

(13) أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، 309-310.

(14) الحسين الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن** (بيروت: دار القلم ودار الشامية، 1412)، 294.

(15) عبد الله بن إبراهيم الناصر، **مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي** (بحث نشر إلكترونيا على موقع جامع الكتب الإسلامية، 2013)، 8. تاريخ الاطلاع عليه: 7-8-2025، **https://ketabonline.com/ar/books/**

(16) البقرة: 30.

(17) محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1422)، 236:1. ومحمد بن عمر الرازي، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420)، 152:1. ومحمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** (بيروت: دار الكتاب العربي، 1407)، 124:1. وإسماعيل بن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (بيروت: دار الجيل، 1410)، 67:1. ومحمد بن صالح عثيمين، **تفسير القرآن الكريم** (الدمام: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، 1423)، 113:1.

(18) النور: 55.

(19) أحمد الحصري، **السياسة الاقتصادية والنظم المالية في الفقه الإسلامي** (بيروت: دار الكتاب العربي، 1407)، 136.

(20) هود: 61.

(21) محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384)، 56:9.

(22) النور: 55.

(23) الحج: 41.

(24) الملك: 15.

(25) لقمان: 20.

(26) الجمعة: 10.

(27) البقرة: 30.

(28) البقرة: 60.

(29) البقرة: 205.

(30) المائدة: 64.

(31) الأعراف: 56.

(32) المائدة: 33.

(33) الأنعام: 141، والأعراف: 31.

(34) الإسراء: 27.

(35) يوسف: 47.

(36) محمد يعقوبي ومسعود ميهوب، **التنمية المستدامة تقييم للفكر الوضعي ورؤية إسلامية** (بحث علمي قدم إلى الملتقى الدولي: مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الاسلامي، جامعة قالمة، 2012)، 195-198.

(37) الأمم المتحدة، **تقرير أهداف التنمية المستدامة لعام 2023: إصدار خاص**، 36. وموقع الأمم المتحدة، **الهدف 12 – الاستهلاك والإنتاج المسؤولان**، تاريخ الاطلاع عليه: 7-8-2025، **https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/sustainable-consumption-/production**

(38) فصلت: 10.

(39) هود: 6.

(40) الأعراف: 96.

(41) زينب صالح الأشوح، قراءة إسلامية لنظرية مالتس في السكان، **مجلة المسلم المعاصر** (تنشر إلكترونيا)، العدد: 73-74، 1994. تاريخ الاطلاع عليه: 7-8-2025، **https://almuslimalmuaser.org/1994/08/02/**

(42) لويس معلوف، **المنجد في اللغة والاعلام** (بيروت: دار المشرق)، 526.

(43) أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، 4:109.

(44) محمد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984)،26:268.

(45) البقرة: 31.

(46) النساء: 113.

(47) موقع اليونسكو، تاريخ الاطلاع عليه: 7-8-2025، **https://unevoc.unesco.org/home/%2BTVETipedia%2BGlossary/lang%3Den/show%3Dterm/term%3DEducation**

(48) موقع اليونسكو، تاريخ الاطلاع عليه: 7-8-2025. **https://uis.unesco.org/en/glossary-term/education**

(49) أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، 1:493.

(50) محمد ابن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، 3:135.

(51) طارق عبد الرؤوف عامر، وإيهاب عيسى المصري، **الجودة الشاملة والاعتماد في التعليم: اتجاهات معاصرة** (المجموعة العربية للتدريب والنشر، 2014)، ص 22.

(52) موقع الأمم المتحدة، تاريخ الاطلاع عليه: 12-8-2025، **https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/education/**

(53) موقع الأمم المتحدة، تاريخ الاطلاع عليه: 12-8-2025، **https://www.un.org/ar/about-us/universal-declaration-of-human-rights**

(54) أيضا.

(55) موقع الأمم المتحدة، تاريخ الاطلاع عليه: 12-8-2025، **https://www.ohchr.org/ar/resources/educators/human-rights-education-**

training/united-nations-declaration-human-rights-education-and-training
https://www.ohchr.org/ar/hr-bodies/hrc/advisory-committee/hrac-، education

(56) موقع مجلس أوروبا، تاريخ الاطلاع عليه: 12-8-2025، https://www.coe.int/ar/web/compass/introducing-human-rights-education

(57) لمزيد من التفاصيل يرجى الاطلاع على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (المادة 26)، والديباجة والمبادئ التأسيسية للتربية على حقوق الإنسان، وإعلان الأمم المتحدة بشأن التثقيف والتدريب في مجال حقوق الإنسان (2011)، وميثاق مجلس أوروبا للتربية على المواطنة والديمقراطية وحقوق الإنسان (2010)، وعشرية الأمم المتحدة للتربية على حقوق الإنسان (1995–2004) والبرنامج العالمي بعد ذلك. تاريخ الاطلاع على المواقع التالية: 12-8-2025، https://www.right-to-education.org/ar/page-7 و https://www.ohchr.org/ar/topic/education-and-cultural-rights، https://www.un.org/ar/127035، https://www.un.org/ar/about-us/universal-declaration-of-human-rights، https://www.ohchr.org/ar/resources/educators/human-rights-education-training/united-nations-declaration-human-rights-education-and-training و https://www.ohchr.org/ar/hr-bodies/hrc/advisory-committee/hrac-education و https://www.coe.int/ar/web/compass/introducing-human-rights-education

(58) عبد الرحيم الخليفي، عن العلاقة بين العولمة والتربية والتعليم، **مجلة الوحدة الإسلامية**، لبنان، العدد: 15، 2003، 1-20.

(59) بثينة حسنين عمارة، **العولمة وتحديات العصر وانعكاسات على المجتمع العربي** (القاهرة: دار الأمين، 2000)، 27. وصلاح حسن خضر السيد، دور التربية في مواجهة سلبيات العولمة من منظور إسلامي، **مجلة بحوث التربية النوعية**، مصر، العدد: 5، 2005، 101-106.

(60) الدخان: 32.

(61) محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 142:16.

(62) النمل: 15.

(63) النمل: 39-40.

(64) حامد عبده الهوال، **التعليم والتعلم في القرآن الكريم** (الكويت: مكتبة الفلاح، 1981م)، 32.

(65) العلق: 1-5.

(66) طه: 114.

(67) المجادلة: 11.

(68) أما الهدف الخامس من أهداف التنمية المستدامة فيتعلق بقضية المساواة بين الجنسين، وقد ناقشناها بتفصيل في مقالة: **دور المساواة بين الجنسين في تحقيق التنمية المستدامة للأمم المتحدة: دراسة تحليلية من منظور القرآن الكريم**، أن الأمم المتحدة ترى أن المساواة بين الجنسين تعني إزالة أي فروق قانونية أو اجتماعية بين الرجل والمرأة، ورفض أي تبرير ديني أو ثقافي للتمييز، معتبرة أن ذلك شرطا أساسيا لتحقيق التنمية المستدامة. و في المقابل يرسخ القرآن الكريم مبدأ العدل المطلق، ويقبله إذا كان قائما على إعطاء كل ذي حق حقه وفق أمر الله سبحانه وتعالى، مع مراعاة الفروق الفطرية بين الجنسين وتوزيع الأدوار بما يناسب طبيعة كل منهما، مثل تفضيل الرجل بالقوامة. ويؤكد القرآن الكريم أن هذا التفاضل نابع من حكمة إلهية لا تمس كرامة أي من الجنسين. فإن الجمع بين الرؤية الأممية والقرآنية في قضية المساواة بين الجنسين غير ممكن؛ لاختلاف أسس كل منهما ومبادئهما اختلافا جذريا.

(69) المجادلة: 11.

(70) ويؤكد ذلك الحديث أيضا: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 224).

(71) الزمر: 9.

(72) يجب الفرق بين الاستنتاج العقلي في الإطار العلماني، والاستنتاج العقلي في الإطار الإيماني؛ لأن الأخير ينضبط بضوابط الوحي، ويكون فيه العقل أداة لفهم السنن الإلهية وتحقيق مقاصد الشرع.

(73) آل عمران: 190–191.

(74) الجاثية: 4.

(75) البقرة: 164.

(76) عبس: 1–3.

(77) الإسراء: 12.

(78) الحجرات: 13.

(79) البقرة: 31.

(80) البقرة: 282.

(81) كما في الحديث: "إن العلماء ورثة الأنبياء" (سنن الترمذي، رقم الحديث: 2682، وسنن ابن ماجه، رقم الحديث: 223).

(82) فاطر: 28.

(83) طه: 114.

(84) سنن الترمذي، رقم الحديث: 3599، وسنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3833، و251.

(85) محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، **سبل السلام شرح بلوغ المرام** (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٧)، 4:716.

(86) الجمعة: 2.